



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 19-5-94
Photo No. : 157

غزة في فلسطين

"في فلسطين، في قطاع غزة..." "في فلسطين، في مدينة اريحا..."
تعبير تبدو عادية للقارئ العربي. لكنها تكتسب رنة فريدة عندما يسمعا
المرء بلغة اجنبية خلال احدى نشرات الاخبار العالمية التي تنقلها محطات
التلفزة اللبنانية.

انها رنة فريدة لان اسم فلسطين كان غائبا على الدوام في لغة الاعلام
العالمي. كان يحكى، بالطبع، عن الفلسطينيين، وكانت تستعمل كلمة
"فلسطيني" او "فلسطينية" كصفة (و فقط منذ بروز المقاومة الفلسطينية
في الستينات). اما فلسطين، كرمز جغرافي، فكانت مغيبة باستمرار. هكذا،
كان منيعو الاخبار يكتفون بتسمية الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧)
"المناطق المحتلة"، من دون اي اضافة. هذا عندما لا يستعملون تعبير "في
اسرائيل، في المناطق المحتلة..."

ولأن انتظار فلسطين طال في لغة الاجانب، فإن اطلالتها الجديدة اليوم
تعني ان معركة الرموز حسمت ما بقي ملتبسا في معركة المفاوضة: في
غزة، في فلسطين، يرفع علم فلسطين في حضور جيش تحرير فلسطين.
صحيح ان الجيش تمت تسميته شرطة، وان السيادة منقوضة ومرشحة
للبقاء هكذا لسنوات، وان الحكم الذاتي ما زال محصورا ببقعتين صغيرتين
من ارض فلسطين. لكن ذلك لا يلغي ان ما تحقق في الايام القليلة
الماضية يشكل فعلا خطوة كبيرة على طريق الدولة الفلسطينية. وصحيح
ايضا ان الرموز لا تعوض عن نواقص الاتفاقات المعقودة، وهي كثيرة.
لكنها تكشف انها مجرد نواقص في اطار يمكن استكمال عناصره. فحيال ما
شهدته غزة واريحا "اولا"، يصح الكلام عن "الخيانة" مضحكا اكثر من اي
وقت مضى.

ومهما تكن عيوب القيادة التاريخية للشعب الفلسطيني كثيرة، فإن احدا لم يعد باستطاعته ان ينكر عليهما انهما، باعادة غزة واريحا الى فلسطين، خطت خطوة هائلة على طريق اعادة فلسطين الى نفسها، تماما مثلما كانت وراء دخول فئة "الفلسطينيين" الى قاموس السياسة الدولية.

كان ممكنا دفع ثمن أرخص؟ ربما. كان ممكنا تحسين الاداء التفاوضي؟ بالتأكيد. غير ان كل هذه التحفظات لم تعد مهمة، الا للمحاسبة التاريخية ولاستخلاص الدروس من اجل تحسين شروط التجربة التي بدأ الشعب الفلسطيني يخوضها. ولعل اهم ما يمكن استنتاجه من الجو الذي رافق عملية استعادة غزة واريحا حريتهما، ان لحظة التحرير، نعم التحرير، تفتح صفحة جديدة يجدر ان تترك وراءها المهارات المعهودة، وان تُترجم فيما النزعة المزمنة الى المزيدة ضغطا ديموقراطيا.

ليست الديموقراطية ترفا في التجربة الفلسطينية الوليدة، ولا هي هدف اخلاقي، انما هي في صميم الرهان الفلسطيني الجديد. والاهم من ذلك ربما انها - الى كونها ضرورة فلسطينية - مكسب محتمل للعرب اجمعين.

يبدو انه كتب على الشعب الفلسطيني ان يكون دوما محور تجارب تتجاوزه، وحيانا تتعارض مع تطلعاته المباشرة. فبعد ان تحوّل في الستينات، ربما رغما عنه، طليعة جديدة لمركة التحرر الوطني العربية، يرى نفسه مدعوا اليوم الى استكشاف احتمالات الديموقراطية. ليس لأنه مجبول بطريقة تختلف عن بقية العرب؛ انما لأن الظروف التاريخية تشاء ان تنحصر التجارب الديموقراطية العربية، بعد انهيار الجزائر وتوغل مصر في المأزق، وتصلب الحكم في تونس، وتغييب السياسة في لبنان، في ساحتين لا ثالث لهما: الاردن وفلسطين. وتزيد من اهمية الساحة الفلسطينية انهما الوحيدة في العالم العربي التي تضطر الى العيش في تماس مع الخصم الخارجي، مما يعني انها مدعوة يوميا الى ممارسة الشفافية في السياسة. مرة جديدة اذاً يتخطى الرهان فلسطين. لكنه للمرة الاولى، وهذا الجديد التاريخي، يرسو في قلب ارض فلسطين.

سمير قصير